الشيخ عبد اللطيف سلطاني ومنهجه في إصلاح العقيدة

Sheikh Abdul Latif Soltani and his approach to reforming the creed

بوراس راضية[1]
كلية العلوم الاسلامية جامعة الجزائر
radia.90bb@gmail.com

آل حكيم عمر
كلية العلوم الاسلامية جامعة الجزائر
omaralhakim16@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/05/01 القبول 2021/08/05 النشر على الخط 2021/12/15
Received 01/05/2020 Accepted 05/08/2021 Published online 15/12/2021

ملخص:

إن المنهج الإصلاحي الذي اتخذه الشيخ عبد اللطيف سلطاني في العقيدة هو منهج أصيل يتوافق والقران الكريم، فقد اعتنى الشيخ بالعقيدة الإسلامية عناية كبرى، وبين أهميتها وما يخالفها من شبهات في الزمن المعاصر وحاجة الإنسان إليها من أجل حياة كريمة فهي أساس كل الأعمال وصلاحها والطريق للفوز بالدنيا والاخرة.

إن هذا الفكر الإصلاحي هو منهج جمعية العلماء عامة، فهي تهتم بالإصلاحات الدينية خاصة ما يتعلق بالعقيدة، وذلك ادراكا منهم أن قيام النهضة وتشييد الحضارة والرقي بالمجتمع الإسلامي لا يكون إلا وفق عقيدة صحيحة وإيمان قوي بأن الاسلام هو دين الحق وأن النصر والغلبة إنما من نصيبه لا محال إن هو طبق على الوجه الصحيح. وهذه العقيدة هي التي تبني لنا جيلا مؤمنا واعيا بأسباب التطور والتقدم وأسباب التخلف والإنحطاط.

وما يميز الفكر الإصلاحي للشيخ أنه ذو أسلوب بسيط يفهمه العوام والخواص، يعالج قضايا وقته ويمد الحلول المناسبة لها، معتمدا في ذلك على الخطاب القرآني أولا والخطاب العقلي ثانيا وهو ما جعله مقبولا لدى أوساط الشعب الجزائري، فقد كان سلطانا للعلماء صاحب حجة وبرهان.

الكلمات المفتاحية: عبد اللطيف سلطاني- المنهج- إصلاح العقيدة.

Abstract

The reformist approach taken by Sheikh Abdullattif Solltani in the creed is an authentic approach that corresponds to the holy Quran. The Skeikh to care of the great Islamic doctrine and its importance and what is contrary to the surrpicions in contemporary times and the need of a human for a decent life is the basis of all the work qnd good, it's the way ucin the world an the other.

This reformist idealogy is the approach of the Assenbly of Scholars in general. It is concerned with religious reforms, especially those relates to faith in recognition of the fact that the rise of the renaissance and the building of civilization and advancement of the Islamic society is only in accordance with true doctrine and strong belief that islam is the religion of truth. Stores that is dish properly it is also a clear and solid doctrine that builds a generation that is aware of the causes of decay and underdevelopment. What distinguisges the reformist thought of the Sheikh is that he has a simple style that is understood by ordinary people. He deals with the issues of his time and offers solutions to them, relying on the Quranic discourse first and the second rational discourse, which made it acceptable to the Algerian center. He was the authority of the scholars of argument and proof.

Keywords: Abdul Latif Soltani -The curriculum- reforming the creed.

[1]- المؤلف المراسل: بوراس راضية البريد الإلكتروني: radia.90bb@gmail.com

مقدمة

لقد عرف التاريخ على مر عصوره شخصيات بارزة ساهمت في تغيير مساره ، فالأوضاع المتقلبة التي عرفها خاصة تلك التي أدت إلى انحطاط الأمم وتخلفها أظهرت ثلة من العلماء حاولت أن تعيد أمجادها وعزتها، وهذه سنة الله في خلقه وخبر رسولنا الكريم حين قال { إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها}[1]. وهذا الوضع قد مرت به أمتنا الإسلامية عامة والأمة الجزائرية خاصة. فقد عرفت الجزائر علماء أجلاء حاولوا الإصلاح بكل ما أوتوا من قوة، فالأوضاع المزرية التي عرفتها الجزائر خاصة وقت الاحتلال يندى لها الجبين، فالاحتلال لم يترك شاردة ولا واردة تسهم في تجهيل وتفقير وتحطيم الشعب إلا وفعلها. فقد عاشت الجزائر مرحلة صعبة جدا إبان الاحتلال وبعده، هذه المرحلة التي كادت تفقد فيها هويتها الاسلامية لولا جهود العلماء وتحركهم في الذود عنها.

هؤلاء العلماء الذين كان لهم الفضل بعد الله سبحانه في إحياء الشعب وتوعيته بعد أن كان شعبا طغت عليه ملامح الجهل والأمية والبعد عن الأصالة الاسلامية. فجهودهم الكبيرة ساهمت في إنشاء نهضة إصلاحية ذات أبعاد دينية وفكرية تشمل كل جوانب الحياة.

ولعل الممثل الأكبر للنهضة الجزائرية هي جمعية العلماء المسلمين والتي تضم نخبة من المفكرين والمصلحين الذين قدموا لأمتهم الكثير من العطاء والتضحية في زمن انتشرت فيه الكثير من البدع والخرافات والانحرافات. و من أبرز هؤلاء المصلحين الشيخ عبد اللطيف سلطاني الذي سخر قلمه وفكره ووقته في محاربة البدع والمنكرات. وقد عايش شيخنا فترتين من تاريخ الجزائر فترة الاحتلال وفترة الاستقلال. فبعد خروج المستعمر لا زالت الجزائر تعاني الكثير من الانحطاط والتخلف في كافة المجالات وخاصة تلك المتعلقة بالدين والثقافة، فشيخنا كان معطاءا زمن الاحتلال وبعده فقلمه لم يضعه حتى وافته منيته، فكان يدرك أن الشعب الجزائري لازال يحتاج إلى التوجيه الديني والثقافي وهو بدوره لم يقصر في نشر الوعي ومحاربة كل ما يسيء للإسلام والمسلمين. فقد كان ذا دور فعال في بعث المشروع الاصلاحي وإحياء الأمة الجزائرية. ولأن فرنسا قد عاثت فسادا في تغيير الاعتقاد الاسلامي وتبديله بأنواع الشرك والكفر، وكثير من البدع والشبهات في المسائل العقدية، وانتشار الطرق الصوفية المنحرفة وتشجيعها لها والتي بدلت معنى الإيمان والإسلام، ليس هذا وحسب بل حتى بعد خروجها ونيل الجزائر لاستقلالها لم تهدأ فضلت تبعث بالأفكار الشركية والمعتقدات الباطلة عبر الأنظمة السياسية والثقافة الغربية. فواجهت الجزائر بذلك تحديات تمس الهوية الاسلامية، نجد أن الجمعية قد ركزت على الجانب العقدي وإصلاحه، فكان شيخنا لها بالمرصاد فقد دافع عن هوية وطنه وبين خطورة الفكر الغربي الصادر إلينا وكتابه المزدكية أصل الاشتراكية هو خير دليل دافع به عن العقيدة الاسلامية. فمن هو شيخنا؟ وماهي خطوات منهجه التي اتخذها في سبيل تحرير العقل الجزائري من خرافات طالت عقيدته الإسلامية؟.

المولد والنشأة:

يتحدث شيخنا عن مولده في مذكراته فيقول: "كانت ولادتي وخروجي إلى هذا العالم الفاني ببلدية القنطرة الواقعة في ولاية باتنة حسب التقسيم الإداري الجديد في يوم الأحد فاتح ربيع الأول سنة 1340هـ، حسبما وجدت هذا بخط والدي رحمه الله وكان هذا

[1] سنن أبي داوود ،كتاب الملاحم، باب مايذكر في قرن المئة، رقم 4291، طبعة خاصة، 1430،2009، شيكة الرسالة العالمية' دمشق، ج6، ص439.

بالتاريخ الهجري فقط. ولما قابلت بين التاريخين الهجري القمري والشمسي الميلادي وجدت أن ربيع الأول المذكور قد استهل هلاله بيوم الأحد كما ذكر الوالد يوافقه 8 جوان 1902م. أما الساعة بالتحديد لم يذكرها على عادة الأقدمين في قلة عنايتهم بالضبط والتدقيق".[1]

تعليمه: تعلم الشيخ في مسقط رأسه في جامع يدعى المصادقة حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم على يد العديد من المشايخ، فيقول: "فشرعت في التعلم على المعلم الأول صالح بن شبانة رحمه الله غير أن قراءتي لم تدم عليه ولم تطل، فانقطع عن التعليم نظرا لكبر سنه وعجزه، فخلفه في الكتاب حافظ القران المجيد الشيخ امد بن العبداوي الملقب بالطير رحمه الله فكانت جل قراءتي عليه ثم ترك الكتاب فخلفه في "السيد المبروك بن سي مسعود" الملقب "بالمقداد" فقرأت عليه القليل من القرآن لأنه كان غير حافظ له كما قرأت نصيبا على حافظ القنطرة الممتاز الشيخ "يحي بن محمد بن المسعود" الملقب "بالحشايشي"، وتقدمت بي السن بعد أن صرت أعيد وأكرر القرآن وحدي، فصرت أقرأ القرآن وحدي وأستعين بالمعلم في التصحيح لا غير".[2]

كما أن شيخنا لم يتعلم اللغة الفرنسية مبررا ذلك بقوله: "ذلك أن والدي لم يسجل أي واحد من أولاده لدى قايد البلدة كما هو واجب على كل من ولد له مولود خوفا من إرغام الحاكم الفرنسي والدي على إدخالنا إلى المدرسة الفرنسية، وكان والدي يكره تعلم الفرنسية لأنها تعطل الولد على مواصلة قراءة القران وكان يقول لوالدتي لا يقرأ أولادي الفرنسية حتى لا يخرجوا كفارا. هذا هو السبب في عدم معرفتي للغة الفرنسية"[3]

رحلته لطلب العلم: بعد أن زار بعض أقطار مدينتي بسكرة وباتنة لحفظ القران، قرر شيخنا السفر إلى تونس من أجل طلب العلم في جامع الزيتونة، وكان قراره هذا دون أن يعلم أحدا به يقول: "ولما عزمت على السفر إلى تونس لم أخبر أحدا من أهلي لا والدتي ولا إخوتي بما عزمت عليه وتوكلت على الله وفارقت القنطرة في اخر ربيع الاخر سنة 1341هـ ،

نوفمبر 1922. فالتحقت بتونس للدراسة في جامع الزيتونة ذي الشهرة الواسعة وخاصة في الشمال الإفريقي وانضممت في سلك طلبته من غير تأخير لأن الدراسة ابتدأت منذ شهرين وذلك في جمادى الأول 1341هـ الموافق لشهر ديسمبر 1922".[4]

وفي تونس حصل على شهادة التطويع وهي شهادة ينالها الطالب بعد الانتهاء من الدراسة لمدة سبع سنوات بعد إجراء امتحان اخير للطالب. وتكون هذه الشهادة موقعة من طرف شيوخ لجنة الامتحان.

انضمامه إلى جمعية العلماء المسلمين: انضم إلى الحركة الاصلاحية التي مثلتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فآزر مؤسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس ومن بعده الشيخ محمد البشير الإبراهيمي على قدر جهده آنذاك [5].

وقد كان انضمامه هذا بدعوة من الشيخ عبد الحميد بن باديس كما ذكر في مذكراته يقول:

---

[1] رائد قصي، مذكرات المرحوم الشيخ عبد اللطيف سلطاني، جريدة الشروق العدد3373 الصادر بتاريخ 2 رمضان 1432هجرية، الثلاثاء2أوت 2011م. ص 23.

[2] نفس المرجع ص 23

[3] نفس المرجع ص23

[4] جريدة الشروق العدد3374 الصادر بتاريخ 3أوت 2011/ 3رمضان 1432 ص25

[5] محمد خير رمضان يوسف، تكملة معجم المؤلفين، ط1، 1418هـ/1997م، دار ابن حزم بيروت. ص 324.

" كاتبني أبو النهضة الجزائرية المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله راجيا مني أن ألتحق بالتعليم وانخرط في سلك معلمي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فلبيت، إذ هي المشرفة على التعليم الحر والموجهة له في المدارس والمساجد الحرة في ذلك الوقت. وجمعية العلماء في سنتها الأولى من تأسيسها فلبيت الرجاء وعين لي بلدية" القرارم" التي تبعد عن حاضرة قسنطينة ب 54 كلم. فانتظمت في سلك التعليم الحر التابع لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعينني الشيخ عبد الحميد مدرسا وخطيبا في جامع القرارم من شهر رجب 1350 نوفمبر 1931 ابتداءا من شهر نوفمبر من السنة المذكورة وبقيت في التعليم وأعمال جمعية العلماء إلى أن قامت ثورة التحرير 1374هـ 1954م".[1]

أعماله ونشاطاته:

عمل شيخنا في سلك التعليم وهو أول من أنشأ مدرسة للبنات، وبقي في قسنطينة زمنا طويلا يلقي الدروس في المساجد ويعظ الناس ويجيب عن أسئلتهم الفقهية كثيرا، ونظرا لاحتكاكه كثيرا بالناس وكثرة ممارسته للفقه المالكي صار مرجعا لأئمة المساجد وعامة الناس على السواء.[2] وعمل على نشر صحف جمعية العلماء الصراط والشهاب في الصحراء بأمر من الشيخ عبد الحميد بن باديس، وقد أصبح عضوا في الجمعية سنة 1366هـ/1936م. كما انتخبه أعضاء المجلس الإداري أمينا عاما للمالية ومديرا لمركزها في الجزائر. يقول عن جهوده ونشاطه في جمعية العلماء: "لقد تفرغت وبكليتي وفي جميع الأوقات إلى أعمال الجمعية وذلك في المالية التي كانت غير ثابتة مع كثرة الديون التي كانت عليها من سوء التصرف، وكل يعمل على حسابه بلا نظام ولا مراقبة مع الأشغال الإدارية ويضاف إلى ذلك مالية البصائر والمعهد والشروع في تكوين مطبعة خاصة بالبصائر والجمعية وقد تعبت كثيرا سواء فيما يعود بكثرة الأشغال أو سلوك بعض الموظفين الذين ألفوا الفوضى أو عدم المراقبة. وعلى كل حال فقد تقدمت تلك المشاريع وأثمرت والحمد لله فبقيت في الجزائر إلى الآن "أي إلى يوم وفاته" وأستطيع أن أقول وبكل فخر واعتزاز: لقد خدمت الجمعية من الوجهة المالية خدمة كبيرة لم يخدمها أحد من قبلي باستثناء الشيخ مبارك الميلي رحمه الله.[3]

مؤلفاته :

ترك الشيخ عبد اللطيف سلطاني ثلاث مؤلفات مهمة وهي المزدكية أصل الاشتراكية، سهام الإسلام، في سبيل العقيدة الإسلامية. توفي رحمه الله سنة 1984.

اهمية الاصلاح العقدي

الإصلاح هو منهج الأنبياء والمرسلين، ووجود الإصلاح يقتضي وجود الفساد، فالإنسان على مر الأزمان عرف فسادا في كل مناحي الحياة وخاصة الجانب الفكري، وخصوصا فيما يتعلق بالعقيدة، لذلك نجد دائما الأنبياء والمرسلين يدعون أولا لتصحيح الايمان وبيان فساد الشرك والكفر فالقرآن يتحدث على لسان الأنبياء فيقول على لسان سيدنا نوح :" لقد أرسلنا نوحا إلى قومه

[1] المرجع السابق جريدة الشروق، العدد3373 ،ص 23.
[2] محمد خير رمضان، معجم المؤلفين، ص 324.
[3] المرجع نفسه، العدد3376، ص 10.

فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم"[1] وكذلك على لسان سيدنا هود فقال" وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون"[2] وكذلك الحال بالنسبة لجميع الأنبياء فأول شيء يفعلونه هو دعوتهم لإفراد الله بالعبادة، فإذا صلح الاعتقاد صلح العمل. وكذلك الحال لكل من أراد الإصلاح. فجمعية العلماء المسلمين تأسست لغرض الإصلاح وكان هدفها الأول هو إصلاح العقيدة.

الإصلاح العقدي عند جمعية العلماء المسلمين:

اهتمت الجمعية وعلماؤها كثيرا بهذا الجانب، وقد كان لأحد أعلامها الكبار الشيخ مبارك الميلي رسالة كاملة تتحدث عن الشرك ومظاهره، فكانت أغلب نشاطات الجمعية وكتاباتها تتحدث عن أهمية التوحيد وتصفيته من كل شوائب الكفر والشرك التي طالته، بل هو منهج حياة قد أقر به رجالها، "إن الحد الأخير الذي يحدده التاريخ لهذه الجمعية هو اليوم الذي يصبح فيه المسلمون كلهم لهذا الوطن، ولا مرجع لهم في التماس الهداية إلا كتاب الله وسنة رسوله، ولا سلطان على أرواحهم إلا الله الحي القيوم ولا مصرف لجوارحهم وإرادتهم إلا الايمان الصحيح فتنشأ عنهم الأعمال الصحيحة فتثمر آثارا صحيحة.....يوم يصبح المسلمون متساوون في العبودية لله لا يعبدون غيره ولا يدعون سواه ولا يسلمون وجوههم إلا إليه ولا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله. وقد عرفوا المقامات الثلاثة فأعطوا لكل مقام حقه غير منقوص، عرفوا مقام الألوهية فأعطوه ما يستحق من توحيد وتمجيد، وعرفوا مقام النبوة فأعطوه ما يستحق من تعظيم واحترام وتأس، وعرفوا مقام أنفسهم فأعطوها ما تستحق من تزكية وتكميل بالاستقامة على صراط الدين والتسابق إلى التفاضل بالتقوى والاهتداء بسنن الله في كونه وبسننه في دينه"[3].

فقد كانت العقيدة الإسلامية أولى أولويات الجمعية، فلا تستقيم حال ولن تثمر أعمال إلا على قاعدة صلبة شعارها التوحيد والعبودية الخالصة لله. يقول الطيب العقبي: "هذا وإن دعوتنا الاصلاحية قبل كل شيء وبعده دعوة دينية محضة.... وهي تتلخص في كلمتين أن لانعبد إلا الله وحده، وأن تكون عبادتنا له إلا بما شرعه وجاء من عنده"[4].

وللشيخ مبارك الميلي كتاب بعنوان رسالة الشرك ومظاهره يبين فيه خطورة الشرك وأهمية محاربته وضرورة الدعوة إلى التوحيد في أحلك الظروف، بعدما انتشرت أنواع الشركيات في المجتمع الجزائري، يقول " ومن أسلوبه الحكيم جمعه في دعوته بين بيان التوحيد ومزاياه، وإيضاح الشرك ودناياه. وبضدها تتميز الأشياء وهذه أطوار البعثة من حين الأمر بالإنذار المطلق في سورة المدثر إلى الامر بإنذار العشيرة إلى الأمر بالصدع إلى الدعوة إلى الأمر بالهجرة إلى الاذن بالقتال إلى فتح مكة إلى الإعلام بدنو الحمام، لم تخل من إعلان التوحيد وشواهده ومحاربة الشرك ومظاهره، ويكاد ينحصر غرض البعثة أولا في ذلك فلا ترك النبي صلى الله عليه وسلم التنديد بالأصنام وهو وحيد ولا ذهل عنه وهو محصور بالشعب ثلاث سنوات شديدة، ولا نسيه وهو مختف في هجرته والعدو مشتد في طلبه ولا قطع الحديث عنه وهو ظاهر بمدينته بين أنصاره ولا علق باب الخوض فيه بعد فتح مكة ولا شغل عنه وهو يجاهد

[1] الاعراف 59

[2] الاعراف 65

[3] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الطبعة الأولى، 1997 دار الغرب الاسلامي، ج 1، ص 138.

[4] . الطيب العقبي، جريدة السنة، العدد 2،1351 هجرية ، 1533م، دار الغرب الإسلامي، ص 7

وينتصر ويكر ولا يفر، ولا اكتفى بطلب البيعة على التوحيد ونبذ الشرك وهذه سيرته المدونة وأحاديثه المصححة فتتبعها تجد بصدق ما ادعينا وتفصيل ما أجملنا"[1]. كما حذر الشيخ من العادات الجاهلية لدى المسلمين اليوم التي توقعهم في الشرك، والتي تؤدي بهم إلى العيش في ظلمات الجهل و الوهن والوهم فيقول متسائلا:

" ألست ترى في أوساطهم قبابا تبذل في تشييدها الأموال وتشد لزيارتها الرحال؟ أم لست تسمع منهم استغاثات وطلب حاجات من الغائبين والأموات؟ أم لم تعلم بدور تنعت بدار الضمان تشتري ضمانتها بالأثمان.... هذا إلى اجتماعات تنتهك فيها كل المحرمات باسم الزردات أو تحت ستار الاعتقادات والدعوة إلى أوضاع مبتدعة صدت الناس عن السنة المطهرة"[2].

كما أن أقلام علماء الجمعية ردت على أولئك الذين يقللون من شأن إصلاح العقيدة وصرف الوقت والجهد من أجلها مبررين ذلك بأن الشرك لا يشكل خطرا كبيرا على هذه الأمة، وليس له سلبيات كثيرة فيرد الشيخ الإبراهيمي على هؤلاء بقوله:" وقد يظن الظانون وتنطق ألسنتهم بهذا الظن أن هذه المنكرات التي نحاربها ونشدد في حربها هي قليلة الخطر ضعيفة الأثر، وأننا غلونا في إنكارها وأنفقنا من الأوقات والجهود في حربها ما كان حقيقيا أن يصرف في ناحية أخرى أهم كالإصلاح العلمي، وفات هؤلاء أن اللوازم القريبة لتلك المنكرات التي تشتد الجمعية في محاربتها التزهيد في العلم وإفساد الفطر وفشل العزائم وقتل الفضائل النفسية وإزالة الثقة بالنفس من النفس وتضعيف المدارك وتخدير المشاعر، وهي رذائل لا تجتمع واحدة منها مع ملكة علمية صحيحة، فكيف بها إذا اجتمعت فكان من الحكمة أن تبتدئ الجمعية بتطهير النفوس من الرذائل وأن تجعل من صرخاتها عليها نظيرا للناشئة أن تتلطخ بشيء من أوضارها..."[3].

ان هذه الصرخات لرجال الجمعية تبين لنا أهمية العقيدة والسعي الى إصلاحها فهي أساس كل الأعمال وصلاح المجتمعات.

حال العقيدة الاسلامية بعد الاستقلال:

لم تكن حال العقيدة الاسلامية بعد الاستقلال أفضل منها قبله، فالاحتلال وان خرج عسكريا لازال ثقافيا يبث أفكارا شركية بمسميات وألفاظ أخرى مرونقة تظهر للسامع على أنها مجرد ثقافة تبعث على الحضارة. فقد أكمل مشواره في تجهيل الشعب وسلخه من هويته وعقيدته، إضافة إلى ذلك لم تهتم الدولة الجزائرية بالإصلاحات الفكرية والعلمية بل تهاونت في ذلك. فحكومة أحمد بن بلة لم تهتم كثيرا بالهوية الثقافية للشعب الجزائري، " لقد استقبلت الجزائر استقلالها بمدرسة لا علاقة لها بالتضحيات الجسام التي قدمتها جماهيرنا في المدن والأرياف، فقد كانت الكوادر التي يملكها قليلة للغاية وجله من أصناف المتعلمين الذين صنعهم الإستعمار على عاجلة ليكون امتداده الطبيعي الذي يعتمد عليه في مواصلة عملية المسخ الثقافي والتشويه والتزييف، إضافة للأمية التي قدرت بأكثر من 80 بالمئة"[4].

[1]. محمد مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، تحقيق أبي عبد الرحمان محمود، الطبعة الأولى، 1432 هجرية، 2001م، دار الراية، ص 45.

[2]. المصدر نفسه، ص 164.

[3]. طالب إبراهيمي، آثار الإمام محمد بشير الإبراهيمي، ج 1، ص 144. 145.

[4]. محمد العربي الزبيري، الغزو الثقافي في الجزائر1962/1982، د ط، 1986، المؤسسة الجزائرية للطباعة، ص 31

ومع هذا الوضع المزري الذي عاشته الجزائر من مسخ للهوية وهدم للعقيدة كان لابد من استمرار أفواه وأقلام العلماء في الذود عن حمى جزائر الإسلام والعروبة، فما كان من جمعية العلماء إلا أخذ هذا الدور الريادي ومواجهة كل الصعوبات من أجل إحياء روح الإسلام في المواطن، وكان شيخنا الجليل من السباقين لهذا الدور في سبيل إحياء عقيدة الإسلام، وكتاباته المشهورة لهي أكبر دليل على ذلك.

منهج إصلاح العقيدة عند الشيخ عبد اللطيف سلطاني

لا يختلف منهج الشيخ في إصلاح العقيدة عن جمعية العلماء، فقد دافع عن العقيدة الإسلامية مبينا فضائلها ومحاسنها، ودحض كل ما يخالفها من أنظمة واعتقادات باطلة. كما أكد على أن عز المسلمين وصلاحهم لم يكن إلا بعقيدة ثابتة وإيمان كبير بصدقها والتضحية من أجلها.

أولا: أهمية العقيدة الإسلامية وضلال العقائد الأخرى:

تعتبر العقيدة الإسلامية الركيزة الأساسية في دين الاسلام فبها تقبل الأعمال أو ترد، وهي بالنسبة للشيخ سلاح المرء الذي يواجه به الصعاب، يقول:" العقيدة هي قوة عظيمة تحتل مكان الاحساس من الانسان فتهب لصاحبها الإيمان لما يعتقده وشدة المقاومة لكل ما لا يتفق مع ما مالت اليه تلك العقيدة وارتضته لنفسها وهذا لتأييد ما عقد عليها صاحبها عزمه واختياره وتحول بينه وبين الضعف والخور والذوبان في كل طارئ جديد وهذه الصفة احدى مميزاتها"[1]

فهي القاعدة الأولى التي ينطلق منها المسلم فهي حصنه في مواجهة الشبهات. فالمؤمن الذي يتمسك بعقيدته عن بصيرة واستدلال يوقن أنها هي الحق المتين فلا تزلزله الشكوك ولا تغريه أفكار إلحادية زينها أصحابها بمفاهيم عصرية تدعو الناس إلى اللادينية، "فأصحاب العقيدة هم من كانت لهم عقيدة عقدوا عليها قلوبهم فصارت أرواحهم وحياتهم مبذولة بسخاء في سبيل عقيدتهم فهم قد اشتروا بها ـالعقيدةـ ما اعتقدوه ودفعوها فداء وثمنا لها وهي الغالية بسبب بقائهم على عقيدتهم التي اعتقدوها وعقدوا عليها حياتهم ورضوا بما دفعوه فيها، وذلك بثباتهم عليها وتمسكهم بها من غير أن يلزمهم بها أحد أو يجبرهم عليها مجبر وهذا هو الإيمان بالعقيدة"[2]. فعقيدة الإسلام هي الحق وهي الفطرة التي جبل الناس عليها والتي تقبلها العقول وتطمئن لها النفوس وترتاح لها الضمائر يقول الشيخ"....الدين الحق هو دين التوحيد وهو ما وافق خلقة الإنسان وجبلته وطبيعته التي خلقه الله عليها ولهذا كان ديننا الإسلام الحنيف دين الفطرة والخلقة الأولى للإنسان ليس فيه وثنية ولا أحكام لا يقبلها العقل السليم من المؤثرات الخارجية عن أصل الخلقة، والتي لا تستسيغها الطبائع البشرية السليمة كما نرى ذلك في غيره من الأديان الغابرة والحاضرة من أعمال وتشريعات تخالف تماما العقل النير الصافي ذلك لما طرأ عليها من تحريف أتباعها"[3].

كما أن انحطاط الأمم وتقدمها مبني على العقيدة، فالأمم ضلت بسبب طغيان الشرك وذلت لأنها نفت عقيدة التوحيد التي في أصلها رقي بالنفس والمجتمع " فإن كنت باحثا في علل انحطاط الأمم فلن تجد كالشرك أدلة على ظلمة القلوب وسفه الأحلام

[1] عبد اللطيف سلطاني ، في سبيل العقيدة الاسلامية، ط1 ،1402هـ /1982م. دار البعث الجزائر. ص 21.

[2] المصدر نفسه ص 22

[3] عبد اللطيف سلطاني، سهام الإسلام، ط1، 1400هـ/1980م. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص،20،

وفساد الأخلاق ولن تجد كهذه النقائص أضر بالإتحاد وأدر للفوضى وأذل للشعوب. وإن كنت باحثا عن أسباب الرقي فلن تجد كالتوحيد أطهر للقلوب وأرشد للعقول وأقوم للأخلاق ولن تجد كهذه الأسس أحفظ للحياة وأضمن للسيادة وأقوى على حمل منار المدينة الطاهرة"[1]

ويبني الشيخ انحراف مختلف العقائد وضلالها ويؤكد على أن عقيدة الاسلام هي الحق المبين فيقول:" والعقائد كثيرة ومتنوعة فمنها عقيدة التوحيد وهي عقيدتنا نحن المسلمين وهي التي ندين الله بها. وعقيدة التثليث وهي التي طرأت على المسيحية بعد أن كانت في أول أمرها وفي زمن رسولها عيسى عليه السلام عقيدة توحيدية. وعقيدة الشرك بالله وفيها تعدد الآلهة المعبودة والمشركون أصناف وأنواع متعددة في إشراكهم. وعقيدة الملاحدة التي تنكر وجود الإله بتاتا. وعقيدة التوحيد هي العقيدة الصحيحة وهي الحق الذي لا ينجو أحد إلا بها وهي مبنية على توحيد الإله الخالق لكل شيء والذي تجب طاعته على كل المخلوقين اذ لا خالق سواه"[2]

ثانيا: المذاهب الضالة و أثرها على العقيدة: "الاشتراكية نموذجا":

في كتاب الشيخ "المزدكية هي أصل الاشتراكية" يبين أن الاشتراكية مأخوذة من مذهب المزدكية التي ظهرت على يد زعيمها مزدك المتوفى سنة 528م. وأصولها تعود إليها، فتعاليم مزدك اشتراكية من أسبق الاشتراكيات في العالم[3] ويعرفها بأنها: " نحلة من النحل أو مذهب من المذاهب البشرية تدعو الناس إلى ما دعا إليه إبليس من قبل فهي تتزعم حركة إصلاحية كما قال صاحبها المقصود منها حسب قوله أيضا نشر الأمن والسلام في الأرض كما يدعي وهي إلى جانب هذا تلزم أتباعها ومعانقيها العاملين بها وبمبادئها بأن يزيلوا من بينهم جميع الفروق وأنواع الاختصاص فلا فرق بينهم ولا يختص الواحد منهم على أخيه فيها بأي شيء من أنواع الاختصاص حتى في المخصصات الفطرية كالعرض والشرف.."[4]. وهذا التعريف للمزدكية يبين لنا أنها تشترك مع الاشتراكية في نفي الملكية الفردية والدعوة إلى الملكية الجماعية، إذ أن النظام الاشتراكي "يقتضي إلغاء الملكية الفردية بمعنى أنه لا يجوز للفرد أن يمتلك أرضا ولا معملا أو منجما أو أي ثروة تحتاج في استغلالها إلى عامل أو عمال و عليه يجوز للفرد أن يمتلك أدوات بيته أو ملابسه وأمواله طالما كان لا يستغلها بواسطة عمال..."[5]

والاشتراكية أتت في وقتنا هذا بتعاليم المزدكية، "تلك التعاليم التي تعتمد على عنصرين هامين في حياة الفرد والأمة وهما عنصر المال وعنصر المرأة... فمن استولى على المال والمرأة فقد استولى على كل شيء وسخر كل شيء في سبيل أغراضه ومطامحه..."[6]. إن هذه الدعوة الاشتراكية دعوة إلى الفساد أكثر من الاصلاح "فملكية الأفراد للأشياء لا تخصهم أمر باطل له مضاره، فتفسد المجتمع الذي تطبق فيه، فتفسد أخلاقه وتجعله مجتمعا إباحيا حيوانيا كسولا لا قيمة له بين الشعوب في الأرض".[7]

---

[1] مبارك الميلي رسالة الشرك ومظاهره، ص 52

[2] عبد اللطيف سلطاني ، في سبيل العقيدة، ص، 28.

[3] أحمد أمين، فجر الاسلام،ط10،1969م، دار الكتاب العربي بيروت، ص، 110.

[4] عبد اللطيف سلطاني، المزدكية هي أصل الاشتراكية، ط1 1394هـ/1974م، مطابع دار الكتاب الدار البيضاء. ص 11.

[5] سلامة موسى، الاشتراكية، ط 2012م، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. ص 17

[6] عبد اللطيف سلطاني المزدكية هي أصل الاشتراكية، ص،12.

[7] المصدر نفسه، ص 13.

فلا شك أن هذه الدعوة " مبنية على الغش والخداع و التلبيس والتدليس والتضليل لأن من طبيعة دعاتها والمتزعمين لفكرتها المبالغة في عملية الخداع والكذب وقلب الحقائق على غير ماهي عليه، وجعل الحق باطلا والباطل حقا وإلا فيه فكرة هدم للحضارة والعمران والصنائع والأعمال تهلك الحرث والنسل ولقد حاربتها الدول الراقية في الحضارة والصناعة والعمران من اليهود والنصارى وغيرهم قبل أن يحاربها المسلمون"[1]. فبأي حق تِأخذ هذه الممتلكات وبأي حق يسمى التفاوت في الغنى والفقر بين الناس بظلم اجتماعي، إنما هي هبات الله يهبها لمن يشاء من عباده.

أضف إلى ذلك أن نظاما مثل هذا لا يحقق الأمن والاستقرار للشعوب، كما أنه بهوي بهم في غياهب الشرك والظلمات وينشر مختلف الرذائل، ويسترسل الشيخ في الحديث عن بشاعة هذه الأنظمة الهدامة ومخلفاتها السيئة فيقول: " وقد نتج عن استيراد الأنظمة الأجنبية سواء أكانت شيوعية أو غيرها نتج تحول عن ماض مجيد إلى حاضر سيء أو إلى مستقبل سيء. فقد رأى الناس المدركون للواقع الهوة السحيقة التي انحدرت إليها الأخلاق الفاضلة، فصارت الأعراض تستباح بعناوين براقة خلابة للألباب مثل التطور العصري ولحوق الركب الحضاري وترك الجمود والجامدين والتحول الاجتماعي والقضاء على التخلف والانعتاق، وآخر ما سمعناه ولا زلنا نسمعه دوما من أفواه الأبواق المرددة له والداعية إلى ذلك فهي أقوال حلوة في الظاهر مرة في الباطن. وقالوا عنها إنها أفكار تحررية فقد تحررت من الدين والأخلاق الفاضلة التي جاء بها الإسلام، كما هي أيضا خلق الشرائع السماوية السابقة، فهي تحررت في زعمها من الدين ووقعت في أسر وعبودية الشيطان والشهوات، وما هذه الدعاية في الواقع إلا سم يوضع في الدسم ليسهل ابتلاعه ومن وراء ذلك كله تكمن الحقيقة وتختفي النفوس الشريرة المريضة المدنسة بدنس الإلحاد والزندقة فنتج من ذلك كله الفوضى والنفاق والخبائث والكفر بالدين والماضي ونكران لجهاد الجدود وغير ذلك."[2].

إن هذا القول ليبين لنا النتائج الوخيمة التي ستصير إليه الأمم إن هي اعتمدت على أنظمة هدامة تفسد ولا تصلح ولا تتفق مع مبادئ شخصيتها ولا مع أصول دينها فينشئ بذلك

اضطراب في مفهوم الهوية فتستغني عما يحفظها رويدا رويدا إلا أن تنسلخ عنها فتخسر بذلك عزها وكرامتها.

إن مثل هذه الأنظمة لتمس بالعقيدة الإسلامية من خلال نشر الأفكار الإلحادية التي أتت بها فتزعزع إيمان المؤمن فيتخلى عنها ويستبدلها بهذه الأنظمة الوضعية، فيحتكم إليها في كل أموره فيصبح عبدا لها فينسى ربه ويبدله بأفكار في حقيقة أمرها ضلال وبهتان تؤدي به لذله وقهره يقول الشيخ:"...هذه النحلة الماركسية اليهودية الاشتراكية والشيوعية الملحدة أخذت مبادئها الهدامة للعقيدة الإسلامية والأخلاق الكريمة الفاضلة تظهر وتنتشر في الأوطان الإسلامية في وقتنا هذا مستعملة كل وسائل الخداع والتمويه والتضليل في أوساط المسلمين الضعفاء في دينهم وأخلاقهم وعقيدتهم، وقد ألبسوا لباس التقدم والتقدمية وأطلقوا على أنفسهم التقدميين ومن خالفهم في كفرهم برهم الرجعيين ليجلبوا ضعفاء الإيمان إليهم فيكونون ناجحين في إخراج طائفة من المسلمين من دينهم وكفرهم بدين الله وبرسول الله صلى الله عليه وسلم".[3]

[1] عبد الله بن زيد ال محمود، الاشتراكية الماركسية ومقاصدها السيئة، ط3، 1407هـ/1986م، رئاسة المحاكم الشرعية بدولة قطر، ص9، 10.

[2] عبد اللطيف سلطاني، المزدكية هي أصل الاشتراكية، ص 40.

[3] المصدر نفسه، ص،117.

كما أن المنظومة الاشتراكية بها أفكار لا يستسيغها العقل ولا تقبلها الأديان، خاصة تلك التي

تدعو إلى انتزاع الثروات من الأغنياء وإعطائها للفقراء، فهذا المبدأ مبدأ فاسد " حيث أنه يبعث في الأمة التواكل الكسل والطمع فقد شاهدناها عيانا لا خفاء فيه قلة الانتاج والإهمال المتعمد ممن جعلهم مستفيدين من الأراضي والنخيل التي انتزعت من أربابها وأعطيت لهم زيادة على ما فيه أخذ أموال الناس بالباطل وهو ظلم فادح وشر عظيم وتعطيل للمواهب الانسانية التي أودعها الله الخالق وركبها في الإنسان."[1] أضف إلى ذلك أنها " تخدع الفقراء وتزرع في قلوبهم الآمال والأماني الكاذبة، حيث يوهمونهم أنهم يساوونهم بالأغنياء ويلوحون لهم بكلمات اللطف والعطف ليكثروا بهم سوادهم، والغوغاء في كل زمان ومكان هم عون الظالم ويد الغاشم فالفقراء يزرعون الاماني والآمال ويحصدون الخيبة والحرمان، فهم يمصون دماءهم حتى أن الفقير لا يتحصل على كامل أجرة عمله وعرق جبينه إلا بأخذ شيء منها."[2]

ثالثا: النهي عن الكلام المؤدي إلى الشرك:

قد يغفل الانسان في حديثه فيتفوه بألفاظ قد تؤدي به إلى الوقوع في الشرك، فقد روى البخاري في " الأدب المفرد " (716) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ ؟ قَالَ : قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لما لا أعلم)[3] فقد اشتمل هذا الحديث على أخطر الأمور وأعظمها ألا وهو الشرك سواء كان في الأفعال أم الأقوال، ولذلك لم يسميه الله تعالى ذنبا بل سماه ظلما، يقول تعالى: { يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم}[4]. "

وقد نبه الشيخ وحذر من الوقوع في الشرك خاصة فيما يتعلق بالأمور اللفظية، نظرا لأن هذه الظاهرة قد انتشرت في المجتمع الجزائري خاصة في دعاء غير الله ونسب الخلق لغيره وقد شخص الشيخ مبارك الميلي هذه الظاهرة وتحدث عنها بقوله: " فشا في المسلمين دعاء غير الله على شدة إنكار كتابهم له وتحذير نبيهم منه، حتى صار ومن قرب منهم يؤثرونهم على دعاء الله وحده"[5] وقد رد شيخنا ذلك لضعف عقيدة المسلمين بسبب احتكاكهم بغير المسلمين الذين انتشر الإلحاد في وسطهم، يقول: " ونراها في وقتنا الحاضر قد أصابنا شيء من الضعف في قلوب بعض من المسلمين وهذا بسبب احتكاكهم بغيرهم ممن لا عقيدة لهم أصلا أو ممن لهم عقيدة باطلة وغير مقبولة شرعا وعقلا، وتظهر نتيجة هذا الضعف في الكلام الذي نسمعه من بعض من ينتسبون للإسلام من ذلك أن بعض الناس ينطقون بكلمات تشعر أن قائلها لا يفهم ما يقول ولا يشعر بأن صفة الخلق والإيجاد لا تعطى إلا لله الواحد القهار، فهو الخالق لا خالق سواه وهذا معنى التوحيد."[6]

---

[1] المصدر نفسه، ص101.

[2] عبد الله بن زيد ال محمود، الاشتراكية الماركسية ومقاصدها السيئة، ص 15.

[3] محمد ابن اسماعيل البخاري، الأدب المفرد،د/ط، 1375هـ، المطبعة السلفية ، القاهرة، ص،186.

[4] لقمان الاية

[5] مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص195.

[6] عبد اللطيف سلطاني في سبيل العقيدة الإسلامية، ص 28،29.

واعتبر الشيخ هذه الألفاظ من سوء أدب مع الله و تصل إلى الكفر والجحود، "فإذا أراد واحد من هؤلاء الناس ان يتكلم عن العناية والاهتمام بالمواطن في تهذيبه وتهيئته لأي مهمة كانت لتناط بعهدته قال من غير حياء من الله خالقه وخالق كل شيء هكذا يتبجح وفخر" نريد خلق الانسان المواطن" وهذه العبارة فيها إساءة أدب بل ربما الكفر والجحود للخالق الواحد مع الله الذي لا شريك معه في خلق الانسان المواطن فلا خالق مع الله الخالق لكل شيء".[1]

رابعا: العقيدة الصحيحة هي حياة الإنسان:

إن الإنسان الذي يعيش دون عقيدة صحيحة تائه في هذه الحياة فلا تستقيم حاله ولا يعرف مآله، تضيق نفسه وينفطر صدره لا يجد حلاوة لهذه الحياة لأنه رضي أن يكون عبدا لنفسه وشهوته يقول عز وجل " ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا"[2]، " فالعقيدة الصحيحة هي عقيدة الحق والخير وأهلها هم أهل الحق والخير والصلاح"[3]. فالإسلام قد أتى بعقيدة للإنسان تكفل له السعادة والراحة وتجعل له معنى لحياته، " فقد أتاح للمسلم الفرصة لينظم حياته تنظيما صالحا يعود عليه وعلى من يساكنه بالسعادة والراحة، فقد رسم له الإسلام ما له وما يجب عليه في حياته الأولى هذه، إذ أمره أن يكون موحدا لخالقه بحق لتتحقق بذلك عبوديته مطيعا لربه الذي لا رب بحق غيره، فتكون عقيدته مبنية أساسا على التوحيد، وكذلك عبادته وطاعته فهي لله وحده".[4]

فالعقيدة سلاح المسلم في هذه الحياة فإن أدرك معناها واتبع سبيلها ضمن لنفسه العيش السليم لا تأخذه في دين الله لومة لائم " تلك طبيعة الإيمان والعقيدة إذا تغلغل واستمكن، فإنه يضفي على صاحبه قوة تنطبع في سلوكه كله، فإذا تكلم كان واثقا من قوله، وإذا اشتغل كان راسخا في عمله، وإذا اتجه كان واضحا في هدفه، وما دام مطمئنا إلى الفكرة التي تملأ عقله، وإلى العاطفة التي تغمر قلبه، فقلما يعرف التردد إلى قلبه سبيلا إلى نفسه، ولم تزحزحه العواصف العاتية عن موقفه".[5]

فهذه آثار العقيدة الصحيحة على الإنسان التي تضمن له حياة طيبة واستراحة لنفسه ونور لقلبه." إن عقيدة الإسلام تتسع للروح والمادة والحق والقوة والدين والعلم والدنيا والآخرة، إنها عقيدة التوحيد التي تغرس في النفس الكرامة أو الحرية، وتجعل الخضوع لغير الله كفرا وفسقا وظلما وتأبى على الناس أن يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله".[6]

إضافة إلى ذلك نجد الذي لا يدين بعقيدة صحيحة هو الجاهل بعينه، فإذا جهل الإنسان ضاعت حياته وإن كان أعلم الناس بأمور دنياه، يقول الشيخ: " فالذين أنكروا الدين ورأوه غير لازم لحياة الإنسان هم قوم من الجهل والغباوة بمكان...ولو كانوا أعلم الناس

---

[1]، المصدر نفسه، ص، 29.

[2] طه

[3] المصدر نفسه، ص، 43.

[4] عبد اللطيف سلطاني المزدكية هي أصل الاشتراكية، ص،227.

[5] نعيم يوسف، أثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع،ط1،1421هـ/2001م،دار المنار المنصورة، ص 115.

[6] يوسف القرضاوي، الايمان والحياة، ط 4، 1399هـ/1979م،مؤسسة الرسالة بيروت، ص، 12.

بطرق الحياة بل ولو كانوا من مخترعي ما يحتار فيه العقل البشري، فهم أجهل الناس بحقيقة أنفسهم، فجهل الإنسان بحقيقة نفسه جعله ينكر وجود خالقه".[1]

خامسا: إنكار الغيب من عقائد الملاحدة:

يعتبر الإيمان بالغيب من أهم أركان العقيدة وأساسيتها ومن صفات المؤمنين المتقين يقول تعالى: " ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون"[2]. وفي زمننا هذا ظهر من ينكر الغيبات مدعين أن الحياة التي نعيشها هي الأبد وليس بعدها حياة أخرى بل راحوا يصرحون بقولهم أن لا إله والحياة مادة مستندين في ذلك إلى التطور العلمي الذي حصل لهم. فطغيان الفكر المادي والمنهج التجريبي جعل الانسان لا يؤمن إلا بما هو محسوس، ولذلك نجد الانسان العصري المتمدن

بمصطلح الشيخ ينكر الغيبيات من إنكار للبعث والنشور والحساب..." إنه لا حياة بعد هذه الحياة ولا بعث للأجساد ولا نشور ولا حساب ولا جزاء على الأعمال التي وقعت في هذه الحياة إلى آخره. فأنكروا وجود الله ووعده ووعيده وشرائعه وكتبه ورسله، كما رأينا ذلك مسطرا ومنشورا في كلمة الانسان البعثي العربي الاشتراكي....لأنهم في دعواهم لا يصدقون بما هو غائب ولا يرونه، هذه هي عقيدة الملاحدة التي بنوا عليها اشتراكيتهم"[3]

لا ينكر الغيب إلا إنسان جاهل وذو عقل قاصر، فالكل الأدلة العقلية تثبت أن هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة، فأدعياء العقل أو العلم حين قصروا العلم على المحسوسات فإنما أرادوا أن يتنصّلوا من حقيقة معنى الإنسان ونظره في هذا الكون، من آفاقٍ ينظر فيها من جانبين المشهود، المجهول، مع أن هذا العالم هو في نفسه بكل مكوّناته بما فيه هذا الإنسان نفسه يأتلف من مواد غيبيّة، وأخرى مشهودة، فلا بد له من سبيل يصل به إلى اليقين لتطمئن نفسه، ويُشربها معنى السكينة الحقّة، والمستندة إلى علم لا إلى وهم. ويحذر شيخنا المسلمين من أمثال هؤلاء الذين ينكرون الغيب لأنهم مأمورون بذلك مأجورون من أجل إفساد عقيدة المسلم. ومن أمثلة ذلك: " أن الملاحدة أنكروا وجود الخالق، كما أنكروا ما جاء من عنده من شرائع وكتب سماوية ورسل...إلى آخره وآمنوا وصدقوا بما يقوله لهم رؤساؤهم، والإنسان قد يكذب ويقول خلاف الحقيقة إذا كان له في الكذب منفعة ولا يكذب إلا ضعيف النفس الحقير، أما الخالق الحكيم فلا منفعة له في شيء سواء آمن العباد أم كفروا، إذ هو الخالق لكل شيء وكفى فأخباره كلها صادقة لأنها وفق علمه ومشيئته".[4]

فالغيب من أساسيات الإيمان فكل عقيدة نفت هذا الأساس ليست بعقيدة ولا يمكنها أن تلبي تطلعات النفس البشرية في استكمالها المعرفة ووضوحها. يقول السيد قطب في ذلك في كتابه خصائص التصور الإسلامي " إن العقيدة التي لا غيب فيها ولا مجهول، ولا حقيقة أكبر من الإدراك البشري المحدود، ليست عقيدة، ولا تجد فيها النفس ما يلبي فطرتها، وأشواقها الخفية إلى المجهول، المستتر وراء الحجب المسدلة .. كما أن العقيدة التي لا شيء فيها إلا المعمّيات ليست عقيدة فالكينونة البشرية تحتوي على

[1] عبد اللطيف سلطاني، المزدكية أصل الاشتراكية، ص، 227

[2] البقرة الاية 1 2 3

[3] المصدر نفسه، ص، 262.

[4] المصدر نفسه، ص، 263.

عنصر الوعي والفكر الإنساني لابد أن يتلقى شيئا مفهوما له فيه عمل يملك أن يتدبره ويطبقه والعقيدة الشاملة هي التي تلبي هذا الجانب وذاك وتتوازن بهما الفطرة".[1]

سادسا: الاقتداء بالسلف الصالح:

لقد كان الشيخ عبد اللطيف سلطاني في عرضه للعقيدة وإصلاحها يدعو للاقتداء بالسلف الصالح في التمسك بها والتضحية من أجلها. فقد عرف التاريخ أبطالا قد دافعوا عن العقيدة على الرغم مما لاقوه من معاداة وطرد وتعذيب من أقوامهم إلا أنهم ضلوا صامدين من أجلها وراحوا يدعون لها بأساليبهم المختلفة، "الذين ثبتوا عليها ولم يتخلوا عنها ساعة من الزمن سواء في زمن اليسر أم زمن العسر لم تغريهم منزلتهم في مجتمعهم، بل ظلوا متمسكين بها في كل الحالات ولو عذبوا من أجلها وفي سبيلها حتى ماتوا عليها ولم يسلموا فيها أو يزهدوا فيها وفي الدفاع عنها. وإذا تساءلنا من هم؟ جاءنا الجواب: هم من الأمم الموحدة القديمة منها والمتأخرة، لأن هذا النوع موجود في كل أمة منذ كانت الدنيا، وكانت عقائد الناس متباينة ومختلفة".[2]

وقد عرض شيخنا لمواقف الأنبياء والصحابة رضوان الله عليهم في الحفاظ على العقيدة والصبر عليها، فكانت سلاحهم في الصبر على المكاره كما تلقوا أنواع العذاب في سبيلها وهذا كله من اجل إعلاء كلمة التوحيد والتمكين لدين الله في الأرض فكان بذلك سعادتهم وصلاح حالهم وحال الأمم من بعدهم يقول الشيخ: "..... فقد ألحقوا بالمؤمنين الموحدين الكثير من العذاب الذي لا يحتمل ولا يطاق، ولكن أولئك الضعفاء تلقوه بقوة العقيدة في الله والصبر الجميل حتى مكنوا دين الله إلى من يعبد الله وحده، ممن كانوا في زمانهم وإلى من جاء بعدهم وغرسوا شجرة التوحيد في التربة الصالحة في أرض من سبقت لهم في علم الله السعادة والنجاة من الضلال. فنمت وترعرعت وأتت أكلها بإذن ربها، فماتوا وتركوا سيرتهم الطيبة مثلا يحتذى لمن يأتي من بعدهم".[3]

وضرب أمثلة كثيرة من سيرة الأنبياء والصحابة كسيدنا إبراهيم عليه السلام الذي اصطفاه الله برسالة التوحيد ومواجهة المشركين وأباطيلهم في زمن كان يحكمه أكبر الطغاة الذين عرفتهم البشرية، يقول عنه الشيخ بعد أن عرض بعضا من سيرته ومحاجاته لقومه بالأدلة العقلية وصبره عليهم في عدم الإيمان به: " ذلكم هو إبراهيم خليل الرحمان عليه السلام وقوة حجته مع خصوم التوحيد، فهو دائما يقيم لهم الدليل على وحدانية الله، وأنه الإله الحق، فلا يقبل الشركة في ألوهيته ولا في ربوبيته، وهذا إلهام رباني وتعليم إلهي له ليرشد المشركين الضالين إلى أن المعبود واحد لا يسهو ولا ينام ولا يغيب عن معبوده، فهو معه أينما كان، حاضر في قلب معبوده، ولنتأمل حجته ودعوته هذه كيف تدرج بها وارتقى من درجة إلى أخرى حتى أوقف المشركين على الصحيح من العقيدة والعبادة".[4]

وهذا الإيمان والصبر في سبيل العقيدة لم يقتصر فقط على الأنبياء، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم من الأوائل الذين اعتقدوا ديانة التوحيد، وكان العبيد والمستضعفون السباقون لها، ويعرض شيخنا لأحد هؤلاء العبيد الذي عرف بصبره وشدته في تحمل أنواع العذاب وهو سيدنا بلال بن رباح رضي الله عنه، " وكان بلال من مستضعفي الصحابة ومؤمنيهم الأولين، وكان يعذب العذاب

[1] سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، د ط، د ت، دار الشروق مصر، ص،120.

[2] عبد اللطيف سلطاني، في سبيل العقيدة، ص، 43.

[3] المصدر نفسه، ص،44

[4] المصدر نفسه، ص55.

الشديد من أجل عقيدته التوحيدية ويصبر على العذاب وهذا حين أسلم و أبى أن يرجع عن دينه وعقيدته، فما أعطى معذبيه قط كلمة ترضيهم وتسخط عليه ربه، مما يريدونه منه حيث طالبوا أن يرجع عن دينه الإسلام الذي هداه الله إليه، إذ كان من السابقين إليه، وقد ألح عليه معذبوه كثيرا وهو تحت العذاب والسياط، أن يكفر بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فيأبى أن يجيبهم إلى شيء مما يريدونه، بل يصارحهم ليبغضهم ويقول لهم في رفض وإباء لما أرادوه منه أحد أحد...".[1] هؤلاء هم أبطال العقيدة الذين نتعلم منهم الصبر والتضحية في سبيل نشرها، فنتخلص بذلك من أدران الوثنية وخبائثها، فتصفو قلوبنا ونخلص لله ونخلع أوصال الشرك أعظم ذنب عصي به المولى عز وجل، وذلك بأن ننطلق في دعوتنا من عقيدة التوحيد ، نبني عليها سياستنا ، وأحكامنا ، وأخلاقنا ، وآدابنا ، ننطلق في كل ذلك من هدي الكتاب وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعم بذلك الخير الذي كان في أسلافنا لما جعلوا العقيدة الصحيحة منهجهم في هذه الحياة. " فبمثل هؤلاء الأخيار الطيبين أمكن رفع لواء التوحيد، عاليا وخفاقا، وجد السير به سيرا حثيثا ومتواصلا، أشواطا تتبعها أشواط إلى أن أشرقت شمس المسيرة الإسلامية على أحياء الأحرار ومحيي معاشرة الأحرار الأخيار، فأنارتها بنور اليقين بعد ظلام دامس في أيام الشرك ولياليه، تلك التي امتدت عبر أزمان غابرة قطعتها الإنسانية في جهالة جهلاء، فلما حان وقت الحياة الحقيقية الصالحة للإنسان قال الله الخالق المدبر الحكيم لرسوله محمد العظيم:{ إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا}"[2][3]

سابعا: إقامة العبادات حفاظ على العقيدة:

وهو ما سماها الشيخ بسهام الإسلام، فإقامة العبادات من الواجبات التي فرضت على المسلم فبأدائها يقوي المسلم عقيدته ويحافظ عليها لأنها أوامر الله عز وجل والامتثال لأمره وإقامة لشرعه، وهذه السهام التي ذكرها الشيخ هي أركان الإسلام الخمس إضافة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله. وهذه العبادات جاءت لخير الإنسان ونفعه وضمان حياة كريمة له إن هو أقامها على الوجه المفروض، "فالله تعالى لم يترك هذا الإنسان يشقى في حياته فاعتنى به عناية عظمى ترفع من شأنه ومنزلته فأرسل الرسل بالشرائع إلى السبيل السوي الأقوم حتى لا يضل ولا يشقى فيخسر الحياة الكريمة وما تجلبه له من الراحة والسعادة"[4]. فإن هو أدرك أن هذه الحياة الكريمة التي حظي بها من اثر العبادات زاد يقينه بوجود الله وحكمته وقوي إيمانه بعظمة الله وصنعه فيثبت على عقيدته ويصمد أمام كل الشبهات التي يواجهها.

فهذه السهام رحمة من الله عز وجل لنا وهي هداية إلى الدين الصحيح " هذه الهداية التي لا نوفها حقها من الحمد والشكر والثناء إلى مسديها لنا وهو رب العالمين فمنه وحده نطلب العون والنصر على أنفسنا وعلى كل ما يعترض سبيلنا من عقبات صعاب نلقاها أمامنا...[5]

[1] المصدر نفسه، ص، 133، 134.
[2] البقرة، الآية 119.
[3] عبد اللطيف سلطاني، في سبيل العقيدة، ص، 245،246.
[4] عبد اللطيف سلطاني، سهام الاسلام، ص، 30.
[5] المصدر نفسه، ص، 214.

إن هذا المنهج الذي اتخذه الشيخ في إصلاح العقيدة والدفاع عنها لا يختلف كثيرا عن منهج القرآن والسنة وعلمائنا الأفاضل، فمنهجية القران الكريم في عرض العقيدة تتمحور حول فكرة رئيسية وهي الهدف من خلق الإنسان وهو عبوديته لله عز وجل وأن يكون خليفته في الأرض، يقول تعالى " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"[1] وكل المحاور التي تعرض لها الشيخ في الدفاع عن العقيدة إنما تصب في هذا الهدف وهو خلق الإنسان الذي يمتثل لأمر الله تعالى وهو بهذا الامتثال يحقق كيانه ووجوده ويبني حاضره ومستقبله المزهر وينشئ ثروة وثورة حضارية فكرية راقية من جهة، ومن جهة يكون عبدا لله مطيعا لأوامره فينال رضاه، فما من أمر يعرض للمسلمين من حياتهم إلا وجدوا له في القرآن أصلا وطريقا " ما فرطنا في الكتاب من شيء"[2]، "وأصول العلوم كلها من القرآن علوم العقائد والعلوم الإنسانية وعلوم الطبيعة والكيمياء، ومع ذلك فهو ليس كتاب علم ولا كتاب فلك، ولكنه كل ذلك جميعا، فقد رسم الحق تبارك وتعالى في القرآن أصول المناهج ووضع الخطوط العامة للفكر والحياة، وترك للإنسانية على المدى الطويل أن تشكل نفسها في كل عصر على النحو الذي يناسبها داخل إطار الإسلام".[3]

فالقرآن الكريم في منهجه في عرض العقيدة قد قرر حقيقة خلق الإنسان وأنه مجبول على فطرة التوحيد، فالنفوس مجبولة على معرفة الله تعالى وذلك واضح في قوله تعالى: " وإذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسكم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين"[4]، فالله تعالى يخاطب الإنسان بأسلوب وجداني ويذكره بهذه الفطرة التي تبين حقيقة الإيمان عنده وليذكره دائما بالميثاق الذي أخذ عليه ويزيل عنه كل ما يشوه هذه الفطرة ويوجهه دائما لاكتشاف الحقيقة من حوله، " إذا كان ذلك هو الذي تقتضيه الفطرة وتستلزمه طبيعة الإنسان وهو أن تنتقل النفس من المؤثر إلى المؤثر فيه ومن عظم البناء إلى عظم بانيه، فمن الطبيعي أن تعرف من ذلك الكون أن له ربا دبره وخالقا برأه من البديهي أن تعرف أن لذلك العالم إلها رفع سماءه وبسط أرضه وأرسى جباله وأجرى بحاره...."[5]

كما أن القرآن الكريم قد تعرض للانحرافات العقدية والمعتقدات الباطلة وبين ضلالها، ومن أعظم الانحرافات والضلالات التي رد القرآن الكريم على أصحابها، إنكار الألوهية والربوبية والشرك فيهما وإنكار البعث والنبوة وقد رد عليهم في ذلك بقوله تعالى " وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون"[6] فيبين القرآن أن الإلحاد لا يقوم على شيء من العلم وإنما هي الظنون والأوهام والأهواء.

والقرآن الكريم في عرضه لقضايا العقيدة يبن دائما أن السلامة والنجاة في الحياة الدنيا والآخرة إنما هي باتباع السبيل الحق والنهج الصحيح الذي هو الإيمان بالله تعالى والإخلاص له والعبودية التامة له "ومن يعمل من الصالحات فلا يخاف ظلما ولا هضما"[7]

---

[1] الذاريات، 56.

[2] الأنعام، 38.

[3] أنور الجندي، منهج الإسلام في بناء العقيدة والشخصية، د، ط/1980، دار الاعتصام القاهرة، ص 39.

[4] الأعراف، 172.

[5] محمد أحمد العدوي، التوحيد العقائد الإسلامية، ت زهير الشاويش، ط 1، 1425هـ/ 2004م، المكتب الإسلامي بيروت، ص 16

[6] الجاثية،24.

[7] طه 112

فالحياة الكريمة أساسها الإيمان بالله والعمل الصالح، والحياة المتعبة والشقاء فيها إنما هو من الكفر والجحود بالله سبحانه، فلا يحوز الإنسان بذلك سعادة الدنيا والأخرة. كما أورد القرآن الكريم في أنبائه عن قصص الأنبياء والمرسلين والصالحين أمثلة كثيرة عن صبرهم على عقيدتهم وجهدهم في الحفاظ عليها والدعوة لها والصبر على أذى أقوامهم في سبيل نشرها كما في قصة سيدنا موسى الذي صبر في دعوة فرعون وقومه إلى عبادة التوحيد.

كذلك ذكر القرآن الكريم أن العبادة هي من صفات المؤمنين الأبرار وأنها التي تثبتهم على إيمانهم وتزيدهم خشوعا وحبا لله " قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون"[1]

هذا في العموم المنهج القرآني في عرض العقيدة، وهو لا يختلف كثيرا عن منهج الشيخ، فنجده يعرض لنقاط أساسية لم يغفل عن ذكرها بل وقد استشهد بآيات كثيرة من أجل دعم منهجه وإثبات بعض الحقائق الواردة التي تخص العقيدة الإسلامية.

خاتمة

من خلال ما تم عرضه يتضح لنا أن الشيخ عبد اللطيف سلطاني كان من أبرز علماء الجمعية المعاصرين الذين اهتموا بالعقيدة وتتبعوا أهم الشبهات التي تناقضها وعملوا على الدفاع عنها وتوضيحها في إطار تربوي إصلاحي وذلك من خلال بيان أهمية العقيدة وأثرها في حياة الفرد والمجتمع، فبصلاحها يصلح الفرد والمجتمع وفسادها يعود عليهما سلبا، وهذا من أساسيات التصور الإسلامي الصحيح، إذ لا عبرة بعمل إصلاحي ما لم يكن مبني على اعتقاد صحيح مبناه القرآن والسنة. كما بين الشيخ انحراف وسوء الأنظمة التي سادت العالم خاصة نظام الاشتراكية الذي خصص له الشيخ كتابا كاملا يبين فيه بطلانه وآثاره السيئة التي تعود على المجتمعات بالانحطاط والخسران، إضافة إلى ذلك الإلحادية التي تنكر الغيبيات فقد أنكر الشيخ على أصحابها مزاعمهم وأبطلها نظرا لمناقضتها للعقل والمنطق. كما اهتم الشيخ بظاهرة الشرك خاصة تلك الموجودة في الكلام المتلفظ به فبين خطره على العقيدة وما يجر به صاحبه من وقوعه في الشرك وأوحاله. زد على ذلك ذكره الشيخ مواقف لأبطال العقيدة وصبرهم على الأذى في سبيل نشرها وتبليغها لأقوامهم والاقتداء بهم في ذلك. هذا وقد وضح أهمية العبادات ودورها الفعال في الحفاظ على العقيدة وتثبيتها والاستمرار عليها. وكل هذه الموضوعات قد جاءت في منهج بسيط وأسلوب سلس مفهوم لكل الأفراد، مستمد من الواقع والحقائق القرآنية و العقلية والكونية. كما كان منهجه يوافق المنهج القرآني، فقد شخص الشيخ الخطأ وصححه معتمدا في ذلك على النقل ثم العقل وذلك ما يناسب مستوى المسلم الجزائري.

[1] المؤمنون، 1.

قائمة المصادر والمراجع

_ القرآن الكريم

- البخاري، الأدب المفرد، 1375 هجرية، المطبعة السلفية، القاهرة.
- أحمد أمين، فجر الإسلام، ط 10، 1969، دار الكتاب العربي، بيروت.
- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد بشير الإبراهيمي، ط1، 1997م دار الغرب الإسلامي.
- أنور الجندي، منهج الإسلام في بناء العقيدة والشخصية، د/ط، 1980، دار الاعتصام، القاهرة.
- جريدة السنة
- جريدة الشروق
- سلامة موسى الإشتراكية، 2012م مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، د/ط، د/ت، دار الشروق، مصر.
- عبد اللطيف سلطاني، المزدكية أصل الاشتراكية، ط1، 1394هـ/ 1974م، مطابع دار الكتاب، الدار البيضاء.
- عبد اللطيف سلطاني، سهام الإسلام، ط1، 1400هـ/ 1980م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- عبد اللطيف سلطاني، في سبيل العقيدة الإسلامية، ط1/ 1402/ 1982م، دار البعث الجزائر.
- عبد الله بن زايد آل محمود، الاشتراكية الماركسية ومقاصدها السيئة، ط3/، 1407هـ/ 1986م، رسالة المحاكم الشرعية بدولة قطر.
- محمد أحمد العدوي، التوحيد، العقائد الإسلامية، تحقيق زهير الشاويش، الطبعة الأولى، 1425هجرية، 2004م، المكتب الإسلامي بيروت.
- محمد العربي الزبيري، الغزو الثقافي في الجزائر، 1982/1962م، 1982م، المؤسسة الجزائرية للطباعة.
- محمد خير رمضان يوسف، تكملة معجم المؤلفين، الطبعة الأولى1418هجرية، 1997م، دار ابن حزم بيروت.
- محمد مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، تحقيق أبي عبد الرحمن محمود، الطبعة الأولى، 1432هجرية، 2001م، دار الراية.
- نعيم يوسف، أثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع، الطبعة الأولى، 1421هجرية، 2001م، دار المنار المنصورة.
- يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، الطبعة الرابعة، 1399هجرية، 1979م، مؤسسة الرسالة بيروت.